الفصـــــل الخامـــــس

حديـــــــــث "عـــــــــذاب القبـــــــــر ونعيمـــــــه"

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : شبهة الطاعنين فى أحاديث الأمور الغيبية "الأخروية" من أحوال البرزخ، وأحوال يـوم القيامـة، والـرد عليهـا 0

المبحث الثانى : شبهات المنكرين لعذاب القبر ونعيمه والرد عليها 0

المبحـث الأول
شبهـة الطاعنين فى أحاديث الأمور الغيبيـة "الأخروية"
من أحوال البرزخ وأحوال يوم القيامة والرد عليها

أحاديث الأمور الغيبية السمعية (الأخروية) من عذاب القبر ونعيمه، والحوض والميزان، والصراط ... إلخ، طعن فيها المبتدعة من الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة وتأولوها على حسب أصولهم 0

وتغالى أذيال المبتدعة من دعاة اللادينية فى عصرنا الذى نحيا فيه 0 وزادوا على أسلافهم بالطعن فى الأحاديث التى تتحدث عن الحشر، والنشر، والنفخ فى الصور، وأوصاف نعيم الجنة، وأوصاف عذاب جهنم، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة التى تتحدث عن أحوال يوم القيامة 0 وقد سبق قول جمال البنا فى ذلك، ومن قال بقوله[1] 0 كما سبق الرد على شبهتهم فى ذلك، وهى أن النبى لا يعلم الغيب"[2] 0

---

[1] ( ) راجع : ص 793 0
[2] ( ) راجع : ص 793-796 0

ونزيد هنا فى الإجابة على شبهة الطاعنين فى أحاديث السمعيات :

أنه لا حجة للمبتدعة قديماً وحديثاً فى إنكارهم للأمور السمعية؛ سوى عبادتهم لهوى عقولهم، وقياسهم عالم ما وراء الطبيعة على العالم المحسوس 0

يقول الإمام الشاطبى فى كتابه الاعتصام باب بيان معنى الصراط المستقيم، الذى انحرفت عنه سبل أهل الابتداع فضلت عن الهدى بعد البيان قال : "لأنهم قوم استعملوا قياسهم وآراءهم فى رد الأحاديث مع تواترها، فقالوا :لا يجوز أن يرى الله فى الآخرة لأنه تعالى يقول : ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**0[1]﴾

فردوا قوله ﷺ : "**إنكم ترون ربكم يوم القيامة**"[2]0 وتأولوا قول الله تعالى : ﴿ [illegible] [3] وقالوا :لا يجوز أن يسأل الميت فى قبره لقول الله تعالى : ﴿ [illegible] [4] وردوا الأحاديث المتواترة فى عذاب القبر وفتنته[5]، وردوا الأحاديث فى الشفاعة على تواترها[6]، وقالوا : لن يخرج من

---

1 ( ) الآية 103 من سورة الأنعام 0
2 ( ) سبق تخريجه ص 762 0
3 ( ) الآيتان 22، 23 من سورة القيامة 0 وقد سبق تفصيل ذلك والرد عليه ص 755-766 0
4 ( ) جزء من الآية 11 من سورة غافر 0
5 ( ) سيأتى بيان تواتره فى الرد على منكريه فى المبحث التالى ص 817 0
6 ( ) سبق الدفاع عنه ص 785، 786 0

النار من أدخل فيها، وقالوا لا نعرف حوضاً[1] ولا ميزاناً[2]، ولا نعقل ما هذا، وردوا السنن فى ذلك كله برأيهم، وقياسهم، مع تواتر الأحاديث فى ذلك – إلى أشياء يطول ذكرها من كلامهم فى صفة البارى"[3] وسبق تفصيل ذلك والرد عليه[4]0

والحقيقة : أن تحكيم الرأى أمر يسير لا عناء فيه ولا ينبغى لأهل الابتداع والإلحاد قديماً وحديثاً أن يفخروا، وإنما الفخر بإتباع الوحى وإن خفيت علينا حكمته، ولم نستطع إدراك حقيقته لا سيما فى الغيبيات؛ لأن العقل يقف عاجزاً عن إدراك عالم ما وراء الطبيعة 0 وتحكيم العقل فى هذا العالم تجاوز لحدود العقل،وسفه من صاحبه،وتطاول على خالقه–والعياذ بالله–

ونقتصر هنا فى الرد إجمالاً[5] على من يحكمون عقولهم فى أحاديث أحوال يوم القيامة بكلمة جامعة للإمام ابن خلدون فى تقويم البحث فى المغيبات وتسفيه العقل فى ذلك 0 قال : "ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رأيه فى ذلك، واعلم أن الوجود عند كل مدرك فى بادئ رأيه منحصر فى مداركه ولا يعدوها، والأمر فى نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه، ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده فى المحسوسات الأربع والمعقولات ويسقط من الوجود عنده صنف

---

1 () انظر : فى تواتره الأزهار المتناثرة ص 74 رقم 108، وإتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص 226 0

2 () انظر : فى تواتره إتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية ص 225 0

3 () الاعتصام 2/573، 574 بتصرف يسير، وانظر : أصول الدين للبغدادى ص 245، 246 0

4 () راجع : إن شئت ص 246–248 0

5 () راجع : ما سبق تفصيله فى بطلان قاعدة عرض السنة علىالعقل ص 244–248 0

المسموعات، وكذلك الأعمى أيضاً يسقط عنده صنف المرئيات، ولولا ما يردهم إلى ذلك تقليد الآباء والمشيخة من أهل عصرهم والكافة لما أقروا به، لكنهم يتبعون الكافة فى إثبات هذه الأصناف، لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة إدراكهم، ولو سئل الحيوان الأعجم ونطق لوجدناه منكراً للمعقولات وساقطة لديه بالكلية، فإذا علمت هذا فلعل هناك ضرباً من الإدراك غير مدركاتنا، لأن إدراكاتنا مخلوقة محدثة، وخلق الله أكبر من خلق الناس، والحصر مجهول، والوجود أوسع نطاقاً من ذلك والله من ورائهم محيط، فاتهم إدراكك ومدركاتك فى الحصر، واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك لأنه من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك 0

وليس بقادح فى العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية، لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن أمور التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع فى محال 0

ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذى يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدرك على أن الميزان فى أحكامه غير صادق، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يمكن له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه، وتفطن فى هذا الغلط، ومن يقدم العقل على السمع فى أمثال هذه القضايا؛ فمن قصور فهمه، واضمحلال رأيه، وقد تبين لك الحق من ذلك"[1]0

وعلى هذا سلم أهل السنة بما جاء فى الأمور الغيبية، ولم يحكموا عقولهم 0

---

[1] () المقدمة لابن خلدون ص 508، 509 0

قال الإمام الأشعرى فى الإبانة : "نؤمن بعذاب القبر، ومنكر ونكير، وبالحوض، وأن الميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله يوقف العباد فى الموقف، ويحاسب المؤمنين، وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله التى رواه الثقات عدل عن عدل حتى تنتهى إلى رسول الله 0[1]

---

[1] () الإبانة ص 27 رقمى 47، 58 0

المبحـث الثانـى
شبهات المنكرين لعذاب القبر ونعيمه والرد عليها

أحاديث عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلاً لذلك، وسؤال الملكين، نص جماعة من العلماء على تواترها تواتراً معنوياً منهم الحافظ السيوطى[1]، والكتانى[2]، وابن قيم الجوزية[3]، وابن أبى العز[4] وغيرهم[5]0 وسوف نورد طرفاً من هذه الأحاديث عند الحديث عن كشف شبهات المعتزلة، ومن قال بقولهم من أهل الكلام والرافضة قديماً وحديثاً0

ويمكن أن نعرض شبهات المعتزلة حول عذاب القبر فيما يأتى :

لقد زعم المعتزلة أن الأخبار الدالة على عذاب القبر مجملة :

ولذلك انقسموا حوله إلى ثلاث فرق :

1- أنكره ضرار بن عمرو[6]، والخوارج، ومعظم المعتزلة، وبعض المرجئة، والرافضة[7]0

---

1 () الأزهار المتناثرة ص 41 رقمى 43، 107 0
2 () نظم المتناثر ص 125، 126 رقمى 113، 114 0
3 () الروح ص 74، ومفتاح دار السعادة 1/43 0
4 () شرح الطحاوية 2/136 0
5 () انظر : إتحاف ذوى الفضائل المشتهرة ضمن مجموعة الحديث الصديقية للأستاذ عبد العزيز الغمارى ص 200 0
6 () ضرار بن عمرو : هو ضرار بن عمرو الغطفانى، قاضى، من كبار المعتزلة، وهو زعيم الفرقة الضرارية، له مقالات خبيثة، كفره المعتزلة من أجلها وطردوه 0 انظر : فضل الإعتزال ص 391، وميزان الاعتدال 228 رقم 3953، وسير أعلام النبلاء 10/544 رقم 175، ولسان الميزان 3/607 قم 4312، والضعفاء لأبى نعيم ص 95 رقم 151، والضعفاء الكبير للعقيلى 2/222 رقم 765، والفهرست ص 299 0
7 () انظر : الروح لابن قيم الجوزية ص 81، وعذاب القبر فى الميزان للأستاذ عكاشة عبد المنان ص 101، 131، والإبانة ص 15، والمنهاج شرح مسلم للنووى 9/224 رقم 2866 0

2- قطع به بعضهم فى الجملة[8]0

3- جــوزه آخـــرون[2]0

وبالقول الأول قال دعاة اللادينية فى عصرنا[3]0

وتدور شبه المنكرين لعذاب القبر وما فيه من سؤال، وضمة، وعذاب، بأنه معارض للقرآن، وللسنة، وللعقل 0

أما القرآن ففى قوله تعالى :  [4] قالوا فلو كان يحيا فى قبره لزم أن يحيا ثلاث مرات، ويموت ثلاثاً، وهو خلاف النص[5]0

أما السنة فقالوا : الأخبار فيها متعارضة، وقد ردت عائشة -رضى الله عنها- حديث ابن عمر مرفوعاً (**إن الميت يعذب فى قبره ببكاء أهله عليه**) فقالت وَهِلَ إنما قال رسول الله : "**إنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه، وإن أهله ليبكون عليه الآن**" وذاك مثل قوله : إن رسول الله قام على القليب يوم بدر 0 وبه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال : "**إنهم ليسمعون ما أقول**" وقد وَهِلَ0 إنما قال : "**إنهم ليعلمون أن ما**

---

8 () انظر : شرح الأصول ص 730، والروح ص 80، 81، وعذاب القبر فى الميزان ص 101،103 0

2 () انظر : فضل الإعتزال ص 201، 202، وشرح الأصول ص 730، والفصل فى الملل والنحل 4/67، وأصول الدين للبعدادى ص 245، 246 0

3 () انظر : شفاء الصدر ينفى عذاب القبر لإسماعيل منصور، وعذاب القبر والثعبان الأقرع لأحمد صبحى منصور، والكتاب والقرآن قراءة معاصرة لمحمد شحرور ص 381، ودفع الشبهات لأحمد حجازى ص 104، 204، 208، والسنة ودورها فى الفقه الجديد لجمال البنا ص 244 وما بعدها، وإنذار من السماء ص 244 وما بعدها، ودين السلطان 928-948 كلاهما لنيازى = =عز الدين، وأضواء على السنة لمحمود أبو ريه ص 74، والأضواء القرآنية للسيد صالح أبو بكر 2/318، 320، 356، وغيرهم 0

4 () الآية 11 من سورة غافر 0

5 () انظر : فتح البارى 3/284 رقم 1369، وشرح الأصول ص 730، 731 0

كنت أقول لهم حق" ثم قرأت قوله تعالى : [illegible][1] [illegible][2] يقول : حين تبوءوا مقاعدهم من النار، وفى رواية قالت (رضى الله عنها) يغفر الله لأبى عبد الرحمن 0 أما إنه لم يكذب ولكنه نسى أو أخطأ، إنما مر رسول الله [illegible] على يهودية يبكى عليها 0 فقال : "**إنهم ليبكون عليها 0 وإنها لتعذب فى قبرها**"[3]0

قالوا فدل ذلك على أن الموتى لا يسمعون، وما يروى من سماعهم خفق النعال لا يصح أيضاً0 وأن عذاب القبر خاص بالكفار من اليهود 0 وقوله تعالى : [illegible][4]

قالوا : هذه فى آل فرعون خاصة، فلا يقاس عليهم غيرهم 0

وما صح من أحاديث فى عذاب القبر؛ فهو آحاد يفيد الظن، لا يحتج به هنا فى باب العقائد[5]0 وهو يصح لبعض الناس دون بعض ممن فقدت أجسادهم، أو تعذر وصول الحياة إليها[6]0

أما دليلهم العقلى فقالوا : لو كان لعذاب القبر أصل؛ لكان يجب فى النباش أن يرى العقوبة أو المثوبة للمعاقب والمثاب، فكان يشاهد عليه أثر الضرب وغيره، وفى علمنا العقلى بخلافه، دليل على أن ذلك مما لا أصل له، ولا مدخل للسمع فيه[7]0

---

1 () الآية 80 من سورة النمل 0
2 () الآية 22 من سورة فاطر 0
3 () أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه 3/503، 504 رقم 932 0
4 () الآية 46 من سورة غافر 0
5 () انظر : شرح الأصول ص 730 –732 0
6 () فضل الاعتزال ص 203 0
7 () شرح الأصول ص 731 – 732، وفضل الاعتزال 201 – 203 0

ويجاب على هذه الشبه بما يلى :

إن زعمهم أن الأخبار مجملة فى إثبات عذاب القبر، ثم انقسامهم حوله إلى ما ذكرنا، يتبين منه : أن المعتزلة، وإن زعم بعضهم بأنه يقطع بوقوعه لدلالة الأخبار عليه، إلا إنهم لم يسلموا للنصوص فى ذلك تسليماً كاملاً، ولم يسلم هذا الأمر من إقحام عقولهم فى جزئيات منه 0

نعم : إن من أثبته منهم أثبته فى الجملة، ولكنهم خاضوا فى ثبوته لعصاة المؤمنين، وفى كيفيته، ووقته مما دفعهم إلى رد بعض النصوص، وتأويل بعضها[1]0

فما زعموه من تعارض عذاب القبر ونعيمه بقوله تعالى : [illegible][2] فلا حياة ثالثة 0

فالجواب : أنه لا تعارض، إنما التعارض نشأ من عدم إدراكهم المراد بالحياة فى القبر فهى ليست الحياة المستقرة المعهودة فى الدنيا، التى تقوم فيها الروح بالبدن وتدبيره وتصرفه، وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، بل هى مجرد إعادة لفائدة الامتحان الذى وردت به الأحاديث الصحيحة، فهى إعادة عارضة، كما حى خلق، لكثير من الأنبياء، لمسألتهم لهم عن أشياء، ثم عادوا موتى[3]0

فحياة القبور، وما فيها من نعيم أو عذاب؛ تختلف عن حياة الدنيا، وحياة الآخرة؛ فهى حياة برزخية لا طاقة للعقل فى إدراكها، ولا يمكنه أن يصل إلى كيفيتها، وإنما يتوقف الإيمان بهذه الحياة على النصوص الواردة قال تعالى:[illegible][4]

---

1 () شرح الأصول ص 73 وما بعدها 0
2 () جزء من الآية 11 من سورة غافر 0
3 () فتح البارى 3/284 رقم 1374، وانظر : شرح المقاصد للتفتازانى 2/162 0
4 () الآية 100 من سورة المؤمنون 0

أما دعواهم تعارض الأحاديث : فيجاب عن ذلك بأنه لا تعارض مع إمكان الجمع وهو ممكن 0 وما ورد من رد أم المؤمنين عائشة –رضى الله عنها– لخبر ابن عمر فى تعذيب الميت ببكاء أهله عليه 0 فلا حجة لهم فيه على نفى عذاب القبر لأن عائشة –رضى الله عنها– إنما أنكرت عذاب الميت بما لم تكسبه يداه، يدل على ذلك احتجاجها بقوله تعالى : [1] ومع ذلك فإنكارها ذلك وحكمها على الراوى بالتخطئة أو النسيان أو على أنه سمع بعضاً ولم يسمع بعضاً بعيد؛ لأن الرواة لما أنكرته من رواية عمر وابنه – رضى الله عنهما – رواه من الصحابة كثيرون وهم جازمون 0 فلا وجه للنفى منها مع إمكان حمله على محمل صحيح[2]0

والمحامل كثيرة جمع بينها الحافظ ابن حجر فقال : "من كانت طريقته النوح فمشى أهله على طريقته أو بالغ فأوصاهم بذلك عذب بصنعه، ومن كان ظالماً فندب بأفعاله الجائرة عذب بما ندب به، ومن كان يعرف من أهله النياحة فأهمل نهيهم عنها، فإن كان راضياً بذلك التحق بالأول، وإن كان غير راض عذب بالتوبيخ، كيف أهمل النهى، ومن سلم من ذلك كله واحتاط فنهى أهله من المعصية ثم خالفوه وفعلوا ذلك، كان تعذيبه تألمه بما يراه منهم من مخالفة أمره، وإقدامهم على معصية ربهم 0

وحكى الكرمانى تفصيلاً آخر، وحسنه، وهو التفرقة بين حال البرزخ، وحال يوم القيامة، فيحمل قوله تعالى:[3] على يوم القيامة، وهذا الحديث وما أشبهه على البرزج 0 ويؤيد ذلك أن مثل ذلك يقع فى الدنيا، والإشارة إليه بقوله تعالى :

---

1 ( ) الآية 38 من سورة النجم 0
2 ( ) فتح البارى 184/3 رقم 1287 0
3 ( ) الآية 38 من سورة النجم 0

[illegible][1] فإنها دالة على جواز وقوع التعذيب على الإنسان بما ليس له فيه تسبب، فكذلك يمكن أن يكون الحال فى البرزخ بخلاف يوم القيامة والله أعلم[2] أ0هـ 0

أما ردها – رضى الله عنها – لخبر ابن عمر – رضى الله عنهما – فى سماع الموتى لكلام النبى ومعارضتها ذلك بقوله تعالى : [illegible][3] ونحوها من الآيات **فالجمهور فى ذلك على خلافها فيما اجتهدت فيه**، وقبلوا حديث ابن عمر لموافقة من رواة غيره عليه 0

وأما استدلالها بقوله تعالى : [illegible] فقالوا معناها لا تسمعهم سماعاً ينفعهم، أو لا تسمعهم إلا أن يشاء الله ... والآية كقوله تعالى : [illegible][4] أى أن الله هو الذى يسمع ويهدى[5]0

وصحت الأحاديث بسماع الموتى حتى قرع النعال خلافاً لمن رد ذلك من المعتزلة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله : "**إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابُه، وإنه ليسمع قرعَ نعالهم ...**" **الحديث**[6]0

---

1 () الآية 25 من سورة الأنفال 0

2 () انظر : فتح البارى 3/185 رقم 1290، والمنهاج شرح مسلم للنووى 3/505 رقم 932 0

3 () جزء من الآية 80 من سورة النمل 0

4 () الآية 40 من سورة الزخرف 0

5 () فتح البارى 3/277 رقم 1370 0

6 () أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر 3/275 رقم 1374، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الجنة وصفة تعليمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه 9/220 رقم 2870 واللفظ للبخارى 0

وعن ابن عمر –رضى الله عنهما– قال : "اطلع النبى على أهل القليب فقال : **وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقيل له : تدعوا أمواتاً؟ فقال : ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون**"[1]0 ولا دليل على خصوصية ذلك بأهل بدر، كما يزعم بعض المعتزلة[2]0

قال القاضى عياض – رحمه الله – : "يحتمل سماعهم، على ما يحتمل عليه سماع الموتى، فى أحاديث عذاب القبر، وفتنته، التى لا مدفع لها 0 وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون فالوقت الذى يريد الله تعالى"0

وقال الإمام النووى – رحمه الله – بعد نقله لكلام القاضى عياض السابق : "وهو الظاهر المختار الذى تقتضيه أحاديث السلام على القبور"[3]0

أما ما زعموه من تعارض الأحاديث المثبتة لعذاب القبر والنافية له 0

فيجاب عن ذلك بأنه لا تعارض 0

ففى الأحاديث التى زعموا أنها تنفى عذاب القبر فى عجزها ما يثبته، وهو ما تعمدوا بتره، فلا تعارض بين أول الحديث وآخره كما جاء فى رواية مسلم عن عائشة –رضى الله عنهما– قالت : دخل علىَّ رسول الله وعندى امرأة من اليهود 0 وهى تقول هل شعرت أنكم تفتنون فى القبور؟ قالت : فَارْتَاعَ رسول الله وقال : "**إنما تُفتنُ يهودُ**" قالت عائشة : فلبثنا ليالى 0 ثم قال رسول الله : "**هل شعرت أنه أوحى إلى أنكم تفتنون فى**

---

[1] () أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر 3/274 رقم 1370، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه 3/503 رقم 932 واللفظ للبخارى 0

[2] () انظر : فضل الاعتزال ص 203 0

[3] () المنهاج شرح مسلم للنووى 9/225 رقم 2874 0

القبور؟" قالت عائشة : فسمعت رسول الله ، بَعْدُ، يستعيذُ من عذاب القبر"[1]0

قال الحافظ ابن حجر:وحاصل الحديث أنه لم يكن أوحى إليه أن المؤمنين يفتنون فى القبور فقال:**"إنما يفتن يهود"** فجرى على ما كان عنده من علم ذلك،ثم لما علم بأن ذلك يقع لغير اليهود استعاذ منه، وعلمه، وأمر بإيقاعه فى الصلاة، ليكون أنجح فى الإجابة"[2]0

وفى رواية أخرى عنها –رضى الله عنها– قالت:دخلت عَلَىَّ عَجُوزانِ من عُجُز يهود المدينة 0 فقالتا : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم 0 قالت : فكذبتُهُما 0 ولم أنعم أن أَصَدِّقَهُمَا 0 فَخَرَجَتَا 0 ودخل علىَّ رسول الله ، فقلت له : يا رسول الله! إن عَجُوَزَيْنِ من عُجُزِ يهود المدينة دخلتا على فزعمتا أنَّ أهل القبور يُعذبون فى قبورهم 0 فقال : **"صدقتا 0 إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم" قالت:فما رأيته، بعد، فى صلاة، إلا يتعوذ من عذاب القبر"**[3] 0

قال الحافظ ابن حجر : "وبين هاتين الروايتين مخالفة، لأن فى هذه أنه ، أنكر على اليهودية، وفى الأول أنه أقرها 0

قال النووى تبعاً للطحاوى وغيره : هما قصتان، فأنكر النبى ، قول اليهودية فى القصة الأولى، ثم أعلم النبى بذلك، ولم يعلم عائشة، فجاءت اليهودية مرة أخرى، فذكرت لها ذلك، فأنكرت عليها مستندة إلى الإنكار الأول، فأعلمها النبى بأن الوحى نزل بإثباته، ويدل على ذلك

---

1 () أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ... إلخ 3/91، 92 رقم 584 0

2 () فتح البارى 11/180 رقم 6366 0

3 () أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر 11/178 رقم 6366، ومسلم "بشرح النووى" كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ... إلخ 3/92 رقم 586 واللفظ له 0

صراحة، ما رواه أحمد فى مسنده بإسناد على شرط البخارى عن عائشة – رضى الله عنها– : "أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة إليها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية : وقاك الله عذاب القبر قالت : فقلت : يا رسول الله هل للقبر عذاب؟ قال : **كذبت يهود، لا عذاب دون يوم القيامة 0 ثم مكث بعد ذلك ما شاء أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار، وهو ينادى بأعلى صوته : "أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر؛ فإن عذاب القبر حق"**[1]0

وفى هذا كله أنه ، إنما علم بحكم عذاب القبر، إذ هو بالمدينة فى آخر الأمر، وهذا لا يستشكل مع ما نزل بمكة من قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ[2] وقوله تعالى : ﴿ **غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا**

0[3] لأن الآيتين بظاهر منطوقهما فى حق الكفار 0

والذى أنكره النبى ، إنما هو وقوع عذاب القبر على الموحدين، ثم اعلم ، أن ذلك قد يقع على من يشاء منهم، فجزم به، وحذر منه، وبالغ فى

---

[1] () المسند 6/81، 89، 174، وعزاه الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد 3/55 إلى أحمد، وقال : رجاله رجال الصحيح، **انظر دفع الشبهات لأحمد حجازى السقا ص 208، 209 حيث بتر هذه الرواية مكتفياً فى سردها إلى قوله**

[2] () الآية 27 من سورة إبراهيم 0

[3] () الآية 46 من سورة غافر 0

الاستعاذة منه تعليماً لأمته وإرشاداً، فانتفى التعارض بحمد الله تعالى[4] أ0هـ 0

أما دعوى القاضى عبد الجبار ومن قال بقوله : إن قوله تعالى : [illegible][1] فى آل فرعون خاصة[2] 0

فيجاب على ذلك:بأن دعوى الخصوصية ممتنعة،ولا دليل عليها،ومما يؤيد ذلك ما يلى:

أولاً: لقد احتج أهل العلم بهذه الآية على عذاب القبر، وما زالوا يستشهدون بها على إثباته[3]، حتى قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – : "وهذه الآية أصل كبير فى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور"[4] 0

ثانياً : لقد فهم الصحابة والتابعون [illegible] عدم الخصوصية فى الآية، ولذلك جعلوها مستنداً لهم فى إثبات عذاب القبر[5] 0

---

[4] ( ) انظر : فتح البارى 3/278، 279، وانظر : تصريح البراء بن عازب [illegible]

[1] ( ) الآية 46 من سورة غافر 0

[2] ( ) شرح الأصول ص 730، ودفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالى لأحمد حجازى السقا ص 209، وراجع : المصادر السابقة ص 818، 819 0

[3] ( ) انظر : المنهاج شرح مسلم 9/223 رقم 2866، والجامع لأحكام القرآن 15/318، 319، وفتح البارى 3/276، وتفسير القرآن العظيم 4/81 0

[4] ( ) تفسير القرآن العظيم 4/81 0

[5] ( ) انظر : الجامع لأحكام القرآن 15/319، وانظر : استدلال جرير بن عبد الله [illegible]

ثالثاً : روى البخارى بسنده إلى ابن عمر أن رسول الله ، قال : "**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة؛ فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار؛ فمن أهل النار يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة**"[1] وهذا فى معنى الآية[2]0

أما زعمهم بأن أحاديث عذاب القبر آحاد لا يحتج بها هنا فى العقائد، فقد سبق أن جماعة من الأئمة نصوا على أن الأحاديث الواردة فى عذاب القبر، وسؤاله، ونعيمه، متواترة بمجموعها تواتراً معنوياً، وإن لم يبلغ آحادها حد التواتر 0

وحتى لو كانت أحاداً لوجب علينا التسليم لها، والإيمان بمضمونها، متى ثبتت صحتها عن رسول الله ، وإن دلت على عقيدة خلافاً لمن أبى ذلك 0

فخبر الآحاد حجة فى العقائد كما سبق تفصيله فى غير موضع من البحث[3]0

وأما دليلهم العقلى فيجاب عنه بالآتى :

أولاً : هذا إقحام منهم للعقل فى أمر لا طاقة له به، ولا مدخل له فيه؛ لأن عذاب القبر ونعيمه أمر غيبى لا عهد للعقول به فى هذه الدار، ولا يمكنها أن تصل إلى كيفيته، وإنما يتوقف الإيمان فيه على النصوص

---

1 () أخرجه البخارى "بشرح فتح البارى" كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى 3/286 رقم 1379، ومسلم "بشرح النووى" كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ... إلخ 9/218 رقم 2866، واللفظ لمسلم 0

2 () انظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 1/414 – 415 0

3 () راجع : إن شئت ص 497، 552-566، 751-753، 757، 758، 787-788 0

الواردة، وإن كان العقل لا يمنع وقوعه، والشرع لا يأتى بما تحيله العقول، ولكنه يأتى بما تحار فيه العقول[1]0

ثانياً : إن الحياة التى يحياها الميت فى قبره والتى دل عليها حديث النبى ، فى قوله : "**فتعاد روحه إلى جسده**"[2] حياة أخرى غير هذه الحياة المعهودة فى الدنيا التى تقوم فيها الروح بالبدن، وتصرفه، وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، وهذا أمر لا يكذبه العقل ولا ينفيه[3]0

يقول ابن قيم الجوزية – رحمه الله – "إن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها : تعلقها بـه فـى بطـن الأم جنينـاً0

الثانى : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض 0

الثالث : تعلقها به فى حال النوم فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه 0

الرابع : تعلقها به فى البرزخ[4]؛ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفات إليه البته 0

الخامس : تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً، ولا نوماً، ولا فساداً0

وإذا كان النائم روحه فى جسده وهو حى، وحياته غير حياة المستيقظ، فإن النوم شقيق الموت، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى

---

1 () انظر : شرح الطحاوية 2/136بتصرف 0

2 () جزء من حديث البراء بن عازب الطويل فى شأن عذاب القبر، والحديث أخرجه أبو داود فى سننه بطوله، فى كتاب السنة، باب فى المسألة فى القبر وعذاب القبر 4/239، 240 رقم 4753، وأحمد فى المسند 4/287 – 288، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح 3/52 – 53 0

3 () انظر : الروح ص 62، وفتح البارى 3/241 0

4 () البرزخ : هو الحاجز بين الشيئين، والمراد به الفترة ما بين الموت إلى القيامة 0 انظر : القاموس المحيط 1/255 0

جسده، كانت له حال متوسطة بين الحى وبين الميت الذى لم ترد روحه إلى بدنه، كحال النائم المتوسطة بين الحى والميت، فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة"[1]0

واعلم : أن الرسل "صلوات الله وسلامه عليهم "لا يخبرون بما تحيله العقول وتنافيه، ولكن إخبارهم إما أن يشهد به العقل والفطرة، وإما أن لا يدركه العقل لعجزه عن الوصول إلى حقيقته وكنهه، ولا يكون الخبر بذلك محالاً فى العقل، وبالتالى كل خبر يظن أن العقل يحيله فإما أن يكون كذباً أو يكون ذلك العقل فاسداً[2]0

وبعـد

فإن عذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظاهر القرآن، وصريح السنة المطهرة وعلى ذلك إجماع أهل السنة[3]0

فإن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى، أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين[4]0

أدلة عـذاب القبـر ونعيمـه :

الذى يلقى نظرة فى القرآن الكريم، والسنة المطهرة يجد أن عذاب من يستحق العذاب، ونعيم من يستحق النعيم يبدأ منذ قدوم الملائكة لأخذ روحه عند الموت قال تعالى : [illegible]

---

1 () الروح ص 62، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية 2/136 0

2 () الروح ص 86، 87 بتصرف، وانظر:موقف المدرسة العقلية من السنة 1/403—405 0

3 () شرح لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسى ص 69، وانظر : موقف المدرسة العقلية من السنة 1/397 0

4 () الروح ص 74، ولوامع الأنوار البهية 2/25 0

[illegible][1]0

فقوله تعالى : "**وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ**" أى بالضرب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، وهو كقوله : [illegible][2] وفى حق أهل النعيم قال تعالى : [illegible][3] مع قوله تعالى : [illegible][4]0 وغير ذلك من الآيات 0

وهذا وإن كان قبل الدفن، فهو من جملة العذاب أو النعيم الواقع قبل يوم القيامة 0

وإنما أضيف العذاب أو النعيم إلى القبر لكون معظمة يقع فيه، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته، ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا ما شاء الله"[5]0

وهذا خلافاً لمن أنكر ذلك من المعتزلة، وقال بعذاب القبر لمن قبر فقط[6]0

كما دلت الأدلة على وقوع النعيم أو العذاب عقب الدفن، وبعد سؤال الملكين، وامتحانهما له 0

---

1 () الآية 93 من سورة الأنعام 0
2 () الآية 50 من سورة الأنفال 0
3 () الآية 32 من سورة النحل 0
4 () الآية 30 من سورة فصلت 0
5 () الفصل فى الملل والنحل 4/67، وفتح البارى 3/275، 276 0
6 () انظر : شرح الأصول ص 733 0

فقد جاء فى حديث البراء بن عازب فى شأن المؤمن : **"فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من ريحها، وطيبها ويفسح له فى قبره" وقال فى الكافر : "فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه ..." الحديث**[1]0

فهذا نص صريح على وقوع النعيم أو العذاب بعد الدفن 0

وفى الحديث عن زيد بن ثابت مرفوعاً : **"إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها 0 فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع ...، الحديث**[2]0

فقد دلت هذه الأحاديث وغيرها فى الصحيح كثير، على وقوع عذاب القبر بعد الدفن 0

وهل يدوم ذلك إلى يوم القيامة أم ينقطع؟ الظاهر من النصوص، أن منه ما هو دائم إلى يوم القيامة، وهو عذاب الكفار، كما قال تعالى : [illegible][3] وقال تعالى : [illegible][4]0

---

[1] () أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة،باب فى المسئلة فى القبر وعذاب القبر 4/239رقم 4753 0

[2] () جزء من حديث طويل أخرجه مسلم "بشرح النووى" كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه،وإثبات عذاب القبر ... إلخ 9/218،219رقم 2867 0

[3] () الآية 46 من سورة غافر 0

[4] () الآية 101 من سورة التوبة 0

قال الحافظ ابن حجر قال الطبرى : "الأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تحتمل الجوع أو السبى أو القتل أو الإذلال أو غير ذلك"[1]0

وفى حديث أبى هريرة فى شأن المنافقين "**فيقال للأرض : التئمى عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك**"[2]0

ومنه الذى يدوم مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة، فإنهم يعذبون على قدر جرائمهم، ثم يخفف عنهم[3]0

وبالتالى زعم القاضىّ عبد الجبار ومن قال بقوله : إن العذاب يؤخر إلى ما بين النفختين[4]**؛ زعم لا حقيقة له؛ لأن الأدلة السابقة تخالفه،** والآية التى استدلوا بها دليل عليهم لا لهم، لأن المراد بالبرزخ هو الحاجز الذى بين الدنيا والآخرة، وهى فترة بقاء الناس فى قبورهم[5]0

إن الله جعل أمر الآخرة وما يتصل بها من حياة البرزخ أمراً غيبياً محجوباً عن المكلفين فى هذه الدار،لكمال حكمته سبحانه وتعالى،وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم[6]0

ولو أطلع الله العباد على عذاب القبر؛ لزالت حكمة التكليف، والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما ثبت فى صحيح مسلم عنه أنه قال :

---

1 () فتح البارى 3/276 رقم 1369 بتصرف يسير 0
2 () جزء من حديث طويل أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الجنائز، باب ما جاء فى عذاب القبر 3/383، 384 رقم 1071 وقال : حديث حسن غريب 0
3 () انظر : شرح العقيدة الطحاوية 2/139 0
4 () انظر : شرح الأصول ص 732 0
5 () انظر : تفسير القرآن العظيم 3/256 0
6 () انظر : الروح ص 89 0

"فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه[1]0

ولما كانت هذه الحكمة منفية فى البهائم، سمعت ذلك وأدركته كما سبق فى الحديث[2]0 إن الله حجب بنى آدم، من رؤية كثير مما يحدث فى هذه الدنيا، فجبريل

---

[1] ( ) سبق تخريجه ص 829 0
[2] ( ) راجع : ص 824 0

-عليه السلام- كان ينزل بالوحى على النبى ويخاطبه على كثب من الصحابة وهم لا يرونه، والجن يعيشون بيننا، ويتكلمون فيما بينهم، ونحن لا نراهم، ولا نسمع كلامهم، والنائم يجد ألماً ولذة فى نومه، ولا يحس بذلك جليسه، بل اليقظان يحس بالألم، ويشعر باللذة ولا يجد ذلك من يجالسه[1]0

والمحتضر يشعر بالألم عند احتضاره،وتضربه الملائكة، والحاضرون لا يرون ذلك 0

كذلك عذاب القبر، ونعيمه، يقع على الميت، حتى لو دفن رجلان أحدهما إلى جنب الآخر، وكان أحدهما منعماً، والآخر معذباً، فإن نعيم الأول لا يصل إلى الثانى، وكذا عذاب الثانى لا يصل إلى الأول 0 وقدرة رب العزة أعجب، وأوسع من ذلك[2]0 فقياس أحوال الآخرة، وحياة البرزخ بأحوال الدنيا، قياس للغائب، على الشاهد، وهو محض الضلال، والجهل، وتكذيب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم[3] أ0هـ 0

اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات،
ومن فتنة المسيح الدجال، اللهم إنى اسألك حسن الخاتمة

---

1 () انظر : المنهاج شرح مسلم للنووى 9/224 رقم 2866-2875، وفتح البارى 3/278 رقم 1374، والروح ص 90، 91 0

2 () انظر : شرح الطحاوية 2/138، والروح ص 92،93، والاعتصام 2/569 0

3 () انظر : فتح البارى 3/278 رقم 1374، الروح ص 100، وللاستزادة انظر : إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين للإمام البيهقى، والغيبيات فى ضوء السنة للدكتور محمد همام، وموقف المدرسة العقلية من السنة 1/397-415 0